من كتب الشرق والغرب

صور من العنف والقسوة فى الأدب الأمريكى

تبدو أمريكا لعيان الزائر العابر أو القارئ المتطفل نعيما يسبح أهله فى رخاء شامل ويرتع نزلاؤه فى بحبوحة من العيش لا يمكر صفوه منغصات الحياة التى يشقى بها سكان العالم القديم . فأمريكا موطن الاختراعات الحديثة ونبع المبتكرات الخلابة التى ترفه عن النفس . وأمريكا بلد الثراء الطائل ، والحرية التامة التى ترنو إليها عيون كل من أهدرت حقوقه على وجه الأرض ، وهى تستهوى ألباب الشعوب المتعطشة إلى السعادة والهناء . وطفق الأمريكيون يدوون فى الآفاق ويروجون بدعايتهم الماهرة إلى بهرج الحياة الأمريكية وما ينعم به المواطن فى ولاياتهم من عز وجاه وترف ، حتى نسجوا غشاء كثيفا من الخداع ظنوه يستر عن الأبصار الفاذة حقيقة أمرهم وطبيعة عيوبهم ورذائلهم ، ومنها ما هو عام يشمل بنى البشر أجمعين ، ومنها ما هو خاص بهم ينجم عن خصائصهم وطرق معيشتهم واقتصادهم وتفكيرهم .

لقد وصلت أمريكا إلى مرحلة من الحضارة الزائفة دفعت منذ بضع سنين كثيرا من خيرة كتابها ومفكريها إلى أن يحاولوا تمزيق حجب الزيف والخداع ، وجلاء ما خفى وراء الظواهر البراقة من بؤس وشقاء ويأس وبكاء . فتسلطت على بعض أدباء أمريكا المعاصرين نزعة تحليل وتمحيص لمقومات الحياة الأمريكية الحديثة ، وجنحوا إلى سبر غور نفس الأمريكى العادى الوقوف على آماله وأحلامه وأفكاره ونوازعه ، فباء جلهم بصورة قاتمة حالكة صاغوها فى قصصهم بعبارات عنيفة كل العنف وبأسلوب عار عن كل زخرف وتنميق . وقد بلغ بعض هؤلاء الكتاب الواقعيين فى وصفهم الحياة الامريكية حدا من القسوة لم يبلغه سلف ، ونظروا إليها بمنظار أسود لا سبيل معه إلى بارقة أمل ، وقد فاقوا أحيانا ما وصل إليه الأدب الروسى السابق للثورة من تشاؤم وزهد فى الحياة . وأخذت موجة العنف والاقذاع فى القول تجتاح الأدب الأمريكى إلى درجة خطيرة أدت إلى تدخل السلطات العامة لوقف تدفق أفكار يخشى معها أن تودى بسمعة البلاد ، ولاسيما أن كثيرا من هذه القصص المثيرة للعواطف كان يتكالب عليها مخرجو السينما لعرضها على الشاشة البيضاء ولا يخفى ما فى هذا العمل من دعاية ضارة لأمريكا وتلويث لسمعتها . ولا يفوتنى فى هذا المضمار أن أذكر ما أقدمت عليه الرقابة الأمريكية للسينما من حظر إصدار قصتين خالدتين للكاتب الشهير ستاينبك Steinbeck إلى أوربا وهما رواية « عنب الغضب » *The grapes of wrath* ورواية « جرذان وبشر » *Of mice and men* إذ تصوران أبشع مناظر الحياة الأمريكية رغم انهما آيتان رائعتان من الوجهة الأدبية ومن وجهة فن التصوير الصادق ، هذا فى حين تغمر تلك الرقابة نفسها أسواق العالم بأفلام لا أثر للفن فيها ، ولكنها تروج للدعاية الوطنية التقليدية الزائفة ألا وهى أن أمريكا فردوس تجرى من تحته الأنهار وجنة الله فى أرضه .

وقد لاقت قصص إرنست همنجواى Ernest Hemingway معارضة قوية من فئة

من القراء فى أمريكا أقنعهم اسلوبه اللاذع ووصفه بعض الحانات الرخيصة حيث يحتسى فيها روادها الخمر حتى تلعب برءوسهم ويفوهون بألفاظ أو يرتكبون أعمالا لا تستحى منها نفس القارئ الأمريكى الوديع .

ولا يخفى على الأديب أن أمريكا تلجأ كل يوم إلى مصادرة كتاب أو منع نشر مؤلف أو القبض على قصصى ومحاكمته بتهمة الاعتداء على الأخلاق القومية وزجه فى السجن حتى يتأمل مغبة عمله ويدرك أن حرية القول فى ذلك البلد محاطة بأسوار شائكة ومقيدة بأغلال ثقيلة . ولم يغرب عن البال ما آل إليه الكاتب الانجليزى الشهير جيمس جويس James Joyce إذ أقيمت عليه الدعوى الشهيرة ووجهت إليه أشد التهم خطورة ، واستقر الرأى على مصادرة كتابه المعروف « أوليس » *Ulysses* وأخيرا وافتنا الصحف بأنباء تفيد مصادرة كتاب الشابة الأمريكية النابهة كاتلين ونسور المعنون *For ever Amber* .

لذلك عمد كثير من المؤلفين الأمريكيين الذين لم يأنسوا فى بلادهم قسطا من حرية الفكر يؤهلهم للتعبير عما يجيش فى صدورهم من أفكار قد لا تروق أولى الأمر إلى مغادرة العالم الجديد والهجرة إلى بعض أصقاع العالم القديم ، حيث حرية الفكر مكفولة موفورة ، وحيث لا يعوقهم عن الافصاح عن خوالجهم أى عائق من قانون أو عادات أو طباع . وغنى عن القول أن أولئك الكتاب لم يرحلوا إلى بريطانيا العظمى أو روسيا السوفيتية حتى لا يستجيروا من الرمضاء بالنار ، وإنما يمموا شطر فرنسا مؤئل الحرية الفكرية فى العصر الحاضر بعد أن نفضت فرنسا غبار الماضى ونسيت محاكمة فلوبير لأجل قصته الخالدة « مدام بوفارى » أو الشاعر الموهوب بودلير لأجل مجموع ديوانه الشعرى الرائع *Les fleurs du mal* .

والآن أبدأ بعرض موجز وتحليل مقتضب لقصتين لكاتبين أمريكيين نشرتا أخيرا فى باريس حيث ظهرت تواً ترجمة فرنسية لهما ، على حين لم تنشر إحداهما فى أمريكا إذ لم يجرؤ أى ناشر على طبعها . وقد راجت القصتان فى باريس رواجا لا مثيل له ، وتناولهما النقاد الفرنسيون فى الصحف والمجلات الأدبية بالنقد والتحليل بين محبذ لهما مولع بهما أشد الولع وبين ساخط عليهما مستهجن لهما أشد الاستهجان . وقد أثارت القصتان جدلا عظيما بين من ولج التحدث عنهما وأوقدتا نقاشا مرا احتدم بين أدباء فرنسا احتداما لم يخف سعيره للآن .

أما القصة الأولى فعنوانها « سوف ابصق على قبوركم » *J'irai cracher sur vos tombes* (éd. du Scorpion, Paris) لمؤلفها فرنون سليفان Vernon Sullivan وقد نشرت حديثا فى باريس فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ ولم تنشر بلغتها الأصلية الانجليزية للآن ، وهى قصة عنيفة مقذعة فتاكة قصد بها مؤلفها الانتقام للزنوج فى أمريكا لما يساموا من ألوان العذاب على أيدى الرجال البيض . أما فرنون سليفان فهو من أولئك البيض المنحدرين من سلالة سوداء عريقة فى السواد ، اختلطوا منذ القدم بنساء بيض فتلونت بشرتهم على مر الحقب والأزمان ، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن ابيضت تماما بحيث يتعذر تمييزهم عن البيض الأصليين . وفى كل عام تقوم الحكومة باجراء تعداد لهم توطئة لنقل قيد أسمائهم من قائمة السود إلى قائمة البيض . وهذه العملية يعبر عنها فى أمريكا باصطلاح طريف « اجتياز الخط » .

وقد كان فرنون سليفان ممن حظوا بنعمة الابيضاض الرسمى فى أمريكا ، وهى نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا الزنوج المناكيد

ولكنه رغم هذه المنحة لم يكن لأترابه السابقين السود أى شعور بالازدراء أو التعالى عليهم ، ولم يعرب لرفاقه البيض الجدد عن أى شعور بالامتنان ولم يستول على نفسه تيه ولا زهو لمآله الأخير ، وإنما ظل حاقدا على الجنس الأبيض ناقما عليه مبيتا له نية التشفى منه . ولذا أقدم على وضع قصته وخلع عليها ذلك العنوان المفترس « سوف أبصق على قبوركم » . وقد رمى من ورائها إلى إظهار قسوة الأسود عندما تختمر فى رأسه فكرة الانتقام لبنى جنسه .

أما هذه القصة فيرويها شاب عمت إلى تلك الفئة من الزنوج الحديثى عهد بالابيضاض وسم الطلعة أشقر لا يبدو على سيماه أى أثر لأصل أسود ، وطد العزم على الانتقام من الجنس الأبيض بعد أن حز فى نفسه قتل أخيه الصغير لتجرئه على مبادلة الحب مع فتاة بيضاء . وقد أتاحت الأيام للراوى أن يوثق أواصر الصداقة مع أختين يافعتين تنحدران من أسرة كريمة وتمتان إلى أسرة من البيض عريقة النسب ، وما فتئ يحوك حولها الحبائل زاعماً أنه مدله فى حبهما حتى وصل إلى ضالته المنشودة واستأثر بقلبيهما الواحدة أثر الأخرى . ولما أن جاءته إحداهما فى يوم من الأيام تنبئه أنها حملت منه سفاحاً ، رأى الفرصة سانحة للأخذ بثأر أخيه الصغير الذى مات شر ميتة على أيدى الرجال البيض ، فدبر لها خاً شيطانيا واستدرجها إلى جهة نائية منعزلة ، ثم انقض عليها انقضاض الوحش الكاسر وأوسعها لطماً وضرباً وركلا ، حتى لفظت النفس الأخير ، فتركها جثة هامدة ، ولم شعثه وقفز فى سيارته وسار حثيثاً حتى بلغ مكاناً آخر عينه للأخت الصغرى للفائها ، فاستدرجها أيضاً إلى جهة أخرى ليعيد الكرة ولما يجف دم ضحيته الأولى من يديه المخضبتين ، فابتدرته المسكينة تذكره بوعده إياها بالزواج فلم يجبها ، وإنما أسرع السير حتى وطئا بقعة مقفرة ، فانهال عليها ضربا وأخرج مسدسا وأرداها قتيلة ، ثم اغتصبها وهى جثة دافئة زايلتها الحياة وقد ظل الراوى طريد العدالة إلى أن دهمه رجال الشرطة فأفرغوا فيه رصاصهم وأردوه قتيلا . ولما علم أهل القرية أنه من أصل أسود غلقوا جثته على شجرة وشنقوه .

وقد روى فرنون سليفان قصته بأسلوب توخى فيه الإفحاش عن عمد ، ولم يتورع عن وصف مناظر بشعة وصفا تقشعر له الأبدان ، كما أنه صور العراك الوحشى الذى دار بينه وبين ضحيتيه تصويراً أمعن فى بيان تفاصيله حتى الغثيان . وهذا اللون من الأدب العنيف لا قبل للنفس المرهفة الحس على احتماله ، ولكنه يدل على أن موجة القسوة تطغى على مشاعر بعض الكتاب لهول ما رأوا من العذاب الذى يتجرعه بعض أفراد الناس لغير ما سبب اللهم إلا اختلافهم فى البشرة أو العقيدة أو للمبادئ السياسية .

أما الكتاب الثانى الذى أعرضه اليوم فقد ظهر فى صيف سنة ١٩٤٦ فى باريس أيضا ، وهو للمؤلف الأمريكى الشهير هنرى ميلر Henry Miller وعنوانه « مدار الجدى » *Tropique du Capricorne* (éd. du Chêne, Paris) وهو يكمل كتابا آخر لنفس المؤلف ظهر منذ حوالى عشر سنين اسمه « مدار السرطان » .

أما هنرى ميلر فهو كاتب أمريكى من أصل ألمانى ذاع صيته فى أوروبا ، إذ استوطن فرنسا وعاش فيها ردحا من الزمن يصدر فيها مؤلفاته متمتعاً بحرية تامة بعد أن نبذه بنو وطنه . وتعد جميع مؤلفات ميلر من المحظورات فى أمريكا . فلا يجرؤ أحد على نشرها أو تداولها رغم ما فى هذا الحظر نفسه من دعاية غير مقصودة لهذه المؤلفات . لذا لا تلبث بعض النسخ القليلة التى تسربت خلسة إلى داخل

القارة الأميركية إقبالا شديداً من جمهرة القراء وتهافتا على اقتنائها . ولا غرابة فى ذلك فكل محظور مرغوب . وقد توخى هنرى ميلر فى كتبه كيل الصاع صاعين لأمريكا التى حرمته حرية القول والفكر حتى تطمت عليه سبل العيش فيها ، لذا خصها بأمضى ما فى جعبته من سهام ، وشهر عليها حربا شعواء شحذ لها أشكى سلاح ألا وهو قلمه الذى ينفث الحقائق المحرجة بأسلوب مسرف فى الاقذاع كما تنفث الأفعى السم الزعاف .

أما مؤلفه الأخير « مدار الجدى » فهو كتاب ضخم يحوى خمسمائة صفحة كثيفة لا تتخللها فصول أو أبواب ، وكأنه لفظه دفعة واحدة حتى ينتهى من أمره ويتنفس الصعداء . ويتعذر على القارئ أن يستخلص من خضم الألفاظ التى يزخر بها الكتاب أى موضوع متماسك ، فهو لا يعدو كونه سلسلة من الأحاديث الطويلة عن شتى الحوادث التى مرت بالراوى . ولكن حديث ميلر ذو شجون فهو بينما يسرد عليك شعوره فى مطعم أو مرقص مثلا يأخذ عليك السبيل فجأة وينقلك معه على أعنة ذاكرته إلى عالم صباه ، فيسترسل فى وصف والده وطباعه ، أو يبين لك خواطر أخته البلهاء أو يروى حياة أترابه الصغار ومميزات كل منهم ، وهو يمعن فى إيراد أدق التفاصيل عنهم . ثم يستطرد فى الحديث إلى أن ينقلك مرة أخرى دون أى إنذار أو تمهيد سابق إلى الحوض فى مناظرة فلسفية عميقة عن الروح أو الموت أو الاله . ثم يجذبك عنوة إلى شوارع نيويورك فيذرعها معك فى الليل أو فى النهار ، ويرتاد معك أوضع الحانات حيث يكب على احتساء المدام حتى يثمل . وهكذا دواليك مما يدعو القارئ إلى السؤال عند الفراغ من قراءة الكتاب : ألم يكن يستمع إلى هذيان محموم يعالج سكرات الموت ؟

ويبدو أن هنرى ميلر مولع أشد الولع بارتياد الشوارع فى نيويورك ، وهو يكلف كلفا شديداً بالتأمل فى المنازل التى تحدها من الجانبين ، وفى القطارات التى تجرى على معابر الجو ، وفى مهرجان النور واللافتات المضاءة بالكهرباء ، وفى قافلة السيارات التى تجوب أرجاء المدينة بلا انقطاع ، وفى مواكب المارة على اختلاف أجناسهم وأشكالهم وليوسهم . وله فى التعبير عما يختلجه من الاحساس الذى تثيره فى نفسه هذه المشاهد صفحات رائعة لعلها خير ما كتب فى هذا الشأن . استمع إليه يصف ناطحات السحاب لمدينة نيويورك ، وقد أرخى الليل عليها سدوله :

« عند ما يكسو الجليد شوارع نيويورك ويخيم عليها صمت رهيب ، ينبعث من قبح مبانيها نغم حزين ممض مميت يهز له البدن . إنى لا أرى قالبا من هذه القوالب المتراصة أقيم فوق القوالب الأخرى عن رغبة أو إجلال . لا أرى شارعا من هذه الشوارع خط للرقص أو الجذل ، وإنما أضيفت أشياء إلى أخرى وسط فوضى اختلط فيها الحابل بالنابل لغرض واحد ألا وهو ملء البطن . لذا فالشوارع تشتم منها رائحة البطون الخاوية والبطون المليئة والبطون المليئة إلى النصف . والشوارع مليئة بأريج طوى لا دخل له بالمحبة ، تنبعث منها رائحة بطون لا تعرف إلا كتفاء ، لها رائحة الأعمال التى أنجزتها بطون فارغة ، وهذه الأعمال نفسها ليست إلا فراغا وعدما . »

لا غرو أن الكاتب عبر تعبيراً فريداً غريباً عميقا عن توازعه إزاء مشهد الشوارع الزاخرة بالمتناقضات . وقد يمر بها عابر سرورا عاجلا فلا يحفل بها ويمضى فى سبيله قدما وقد يمر بها رجل يذرعها عندما يجثم على صدرها صمت الليل فيقف متأملا غارقا فى تفكيره مستلهما أسرار الصروح الشاهقة التى يأوى

إليها فى ساعات محدودة قوم غافلون أو راضون و قانعون أو حانقون . للشوارع روعة لايدركها إلا من قصد استيضاح حقيقة أمرها مثل هنرى ميلر .

ولهذا الكاتب صيحات مؤثرة تدوى فى جنبات القارئ وتستوقفه لشدة الحسرة التى تولدها ثم ترددها بين ضلوعه . ولا بد أن ميلر شعر فى أعماق قلبه بتلك اللهفة المعضة اللاذعة التى وفق للافصاح عنها بألفاظ بسيطة كل البساطة لها وقع أليم يحز فى النفس كالرجع الحنون . ان ميلر ثائر فوضوى وتلك أخص مميزاته ، ثائر على كل شئ ، ناقم على كل شئ ، حانق على الحياة ، حاقد على الانسان شاعر بنقصه ، حائر تائه يسير فى الحياة لايلوى على شئ ، وإنما يحياها لأنها فرضت عليه فرضا ، لا يكترث لمال أو عمل أو زوج أو نسل ، يواصل السير فيها وهو يتخبط بين جدران أسرار الكون والفناء ، لا يستبين حلا مرضيا لمشا كلها يحس بمرارة العاجز عن إدراك سر غامض لاسبيل إلى جلائه ولا إلى تبيان كنهه . فهو ثائر لاتخمد له ثورة ، ينهال على الحياة سبا وقذفا ، يعطرها وابلا من اللعنات فاقد الأمل فى المستقبل ، شاعر بحنين غريزى إلى الماضى إلى البداءة . لذلك فهو لا ينفك يصيح ويصرخ ويرغى ويزبد فى أسلوب من نار يقذف القارئ فى أحضان تيار جارف لا قبل له بمقاومته وسط عباب متلاطم من الألفاظ الفظة الخشنة ، بل وسط طوفان من الذكريات والاستبارات والصور والرموز التى تتمخض عنها مخيلته الخصبة المريضة . ثم يسترسل بلارحمة ، لايدع لك سبيلا للتنفس أو التنهد ، حتى ينتابك دوار فتقف ذاهلا مشدوها متعبا .

استمع إليه مثلا يحدثك عن فلول المجهولين الذين يلتقى بهم فى مكتبه كل يوم وهم من المتعطلين الذين يبحثون عن عمل ، وقد نيط به عرضهم جميعا لانتقاء من أنس فيه الكفاية وطرد البائين رغم رجاهم . يقول ميلر :

« خرجت من مكتبى ثقيل الرأس وما زالت مشاهد اليوم التى مرت على ناظرى عالقة بذهنى . كنت أتخيل ذلك الجيش من الرجال والنساء والأطفال . كنت أتخيلهم وهم يبكون ويصلون ويتوسلون ويستعطفون ويحلفون ويبصقون وينشبون ويهددون . كنت أراهم وهم يتسلقون خلسة قطارات البضاعة . كنت أرى الأكواخ القذرة التى سيأوون إليها والأهل العراة ودلو الوقود الفارغ وعرق الحوائط والصراصير المتسابقة ، كنت أراهم وهم يقفزون كالأقزام أو يهوون على الأرض . كل هذا على حين يستوى السادة الرؤساء على مقاعدهم الوثيرة مخورين بصلابة منطقهم مدللين مسلحين بازدرائهم واحتقارهم متقمصين تعاليهم وخيلاءهم ، أقدامهم على المكاتب وفى أفواههم سيجار ضخم » .

وكثيراً ما يتملك ميلر الشعور باليأس والقنوط وتفاهة ما يبذل من جهد للتعلق بحطام دنيا لم يقرها ولم يلتمس دخولها ، فيسأم الحياة وقد ألفاها مملة مضنية لا معنى لها وتساوره أفكار مظلمة قاتمة ممضة كالندم ، يشعر أنه لن يبلغ نفسه أبدا ، ويرغب عن الكفاح ويزهد فى الدنيا وينكشف له العدم ويردف مناجيا نفسه فى حيرة مؤثرة :

« لم ذاهب أنا إلى عملى ؟ فيم أرغب هذه الليلة ؟ لم لا أهرب إلى بلاد آلاسكا للبحث عن الذهب ؟ لم لا أنزح إلى الغرب فأصبح من رعاة البقر ؟ لم لا أغادر القطر حتى لا أعود أدراجى إلى الوراء ؟ أأقفز فى النهر لأتنهى لأخوض فيه ، لأغوص فيه ، لا تردى فيه حتى القاع إلى أن يتلوث جسمى بطين القاع بين الأسماك التى تحوم حولى تقضم أعضائى وتنهش فيها . وغداً أحيا حياة جديدة . أين ؟ فى أى

جهة ؟ ولكن ما الفائدة من تكرار نفس الشئ دائما أبدا ! الفناء الموت هو الحل الوحيد . ولكن صبراً . ولم لا أمنح نفسي مهلة يوماً واحداً ؟ ومن يدرى : ربما يتغير حظى ، وجه جديد ، صديق جديد ، حظ سعيد . ما زلت فى مقتبل العمر ساعة يأس إنك لا تدرى مرادك ، وعلى العموم فان الناس لا يبالون بك على أى حال أحييت أو مت . . . »

لا يسعنى إلا أن أحجم على مضض عن إيراد نبذ أخرى من كتاب «مدار الجدى» حتى أعود إلى تحليل نفسية المؤلف ومآربه النهائى للوقوف على مشربه الروحى .

لا يخفى على القارئ أن فلسفة هنرى ميلر فلسفة فائقة هادئة ، ولكن ميلر لا يلجأ إلى المعول كى يقيم على الأنقاض شيئا جديدا ؛ إذ ليست له أية أفكار إنشائية وإنما هو يكتفى بالهدم والافناء . ويحس المرء أنه أينما سار ميلر ترك وراءه الفراغ والعدم ، فهو لم يبق شيئا ولم يضن بشئ وإنما هاجم المبادئ والعادات والتقاليد والأخلاق ، والثورات المنظمة المحكمة ، والأديان هاجمها بعنف شديد وجعل منها ترابا وسط جلجلة ملحمة دامية وضوضاء صراع مميت . وهو لا يبنى ولا يكل حتى يقضى على ما يدعى مدنية ، ويتركنا حيارى جزعين مبلبلى الأفكار تجاه أنقاض دارسة وعدم لا خلاص منه .

ولا يفوتنى أن أشير إلى نبذة قصيرة من كتاب آخر له عنوانه « الربيع الاسود » لما فيها من دلالة واضحة على ما استنبطه من عقليته .

« من الجائز أننا مقضى علينا وأن لا سبيل لنا إلى أى أمل البتة لأى شخص منا . ولكن ما دام الأمر كذلك فعلينا أن نصيح صيحة مدوية ، صيحة أخيرة ، صيحة المهبرج تثلج الدم فى الشرايين لنصرخ صرخة تحد تقطع الأوصال صرخة حرب . »

ويعد هنرى ميلر على حق فريداً فى نوعه ، إذ شق طريقه فى الأدب ، ولم يسر على درب السابقين . وهو بين الحين والحين ينشر كتابا أو مقالا أو بحثاً كما يلقى الفوضوى قنبلة . ولا يدانيه فى أسلوبه وآرائه فى اعتقادى إلا الكاتب الفرنسى لويس فرديناند سيلين L. F. Céline فى كتابه الشهير «رحلة إلى اقصى الليل» *Voyage au bout de la nuit* وقد أحدث ضجة واحتدم الجدال حوله كما يحتدم اليوم حول جميع مؤلفات ميلر . وقد شبه الناقد الفرنسى المعاصر موريس بلانشو M. Blanchot فى مقال له ظهر فى مجلة «لارش» *L'Arche* هنرى ميلر بشاعر فرنسى غامض عاش فى القرن الماضى وهو الكونت دى لوتريامون Comte de Lautréamont مؤلف كتاب « أغانى مالدورور » *Les Chants de Maldoror* وعكف على المقارنة والمفاضلة بينهما ، فأبان مثلا ان الشاعر الفرنسى كان أرق حسا منسجماً فى حديثه لا يبدو مشتت الفكر زائغه كما هو الحال بالنسبة لميلر ، على أنهما من جهة أخرى التقيا فى صعيد واحد وهو اللجوء إلى قسوة وإقذاع وعنف يندر أن يمتر الباحث على مثلها فى كتب الأدب الحديث أو القديم .

وقد أجمع النقاد على تجريح ميلر بسبب جنوحه إلى الأدب المفضوح واستعماله ألفاظاً نابية وإمعانه فى وصف تفاصيل مواقف غرامية من الناحية الجنسية وصفا تشمئز منه النفس الرقيقة . ويلوح لكثيرين منهم أن الأمور الجنسية متسلطة على عقل ميلر وتفكيره تسلطا يفسد عليه أروع صفحات كتبه ويدع القارئ يسائل فى شىء من الغرابة أيرمى المؤلف بتوغله فى المسائل الجنسية إلى إحراجه فى حياته . ولم يفت بعض النقاد المناوئين لهنرى ميلر أن يتذرعوا بهذا العيب ليلقموه حجراً منددين باسفافه وإباحيته ، فحشه

المتعمد الذى ينزل بأدبه إلى مرتبة الأدب الرخيص المبتذل . ولكن ميلر رد عليهم فى مقال طويل نشرت مجلة « فونتين » الفرنسية ترجمته وأشارت إليه مجلة «الكاتب المصرى» فى عدد شهر يناير سنة ١٩٤٧ .

ويلوح لى أن الأدب المعاصر عامة يزداد ميلا إلى العنف والقسوة ، لأنه وليد حروب وثورات وقلاقل فهو مرآة تنعكس فيها نوازع نفوس حائرة مزعزعة متشككة تبحث عن أوضاع متينة وقيم ثابتة تتلمس السبيل إلى الاتزان والبقاء ، فتطوح بها الأحداث إلى العدم والفناء .

فؤاد وصفى أبو الرهب